مَقَالَةٌ
للشيخ يحيى بن عدي

في صحة اعتقاد النصارى في البارئ جلَّ وتعالى انهُ جوهر واحد ذو ثلاث صفات

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

تَوْطِئَة

قد اشتهر في أيام المُطيع لله الخليفة العباسي رجل مسيحي من مشاهير النحلة اليعقوبية يدعى ابا زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا وُلد في تكريت وانتقل الى بغداد. قال ابن ابي أُصيبعة في كتاب طبقات الاطباء (٣ : ٢٢٥) : « واليهِ انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقتهِ قرأ على ابي بشر متّى وعلى ابي نصر الفارابي وعلى جماعة أُخر وكان اوحد دهره ومذهبهُ من مذاهب النصارى اليعقوبية وكان جيد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانيَّة الى اللغة العربية وكان كثير الكتابة ورجدتُ بخطهِ عدة كتب ». ومما جاء عنهُ في كتاب الاطباء للقفطي انهُ كان يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة. وانهُ نسخ بخطهِ نسختين من تفسير الطبري وكتباً اخرى لا تحصى. وكان اوصى تلميذهُ ابا علي اسحاق بن زُرعة ان يكتب على قبرهِ هذين البيتين :

رُبَّ ميتٍ قد صار بالعلم حيّاً ... وميتٍ قد مات جهلاً وعيّاً
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً ... لا تعدُّوا الحياة في الجهل شيّاً

وكانت وفاة يحيى بن عدي في بغداد في شهر آب سنة ٩٧٤ للمسيح ودُفن في بيعة مار توما بقطيعة الدقيق. وليحيى بن عدي تصانيف عديدة وتآليف عجيبة في الفلسفة وفروعها فُقد اكثرها

وقد وقفنا لهُ في مكتبتي باريس وروميـة على بعض مصنَّفات جليلة استنسخناها لفوائدها. فمن ذلك رسائل عديدة وجدناها في مكتبة باريس عن المعتقدات النصرانيـة نقتطف منها مقالة في التوحيد والتثليث نقلًا عن النسخة الخطيَّة المحفوظة هناك تحت العدد ١٦٩ من الصفحة ٢١ الى الصفحة ٢٣ برتقي عهد خطّها الى سنة ١٦٥٦

(21) قال يحيى بن عدي :

انَّ غرضنا من هذه المقالة ان نبيّن (١ صحة ما تعتقد النصارى ان البارئ جلَّ

---

١) ليس هذا بيان بالبرهان لأنَّ سرّ الثالوث الأقدس لا يمكن اثباتهُ بالعقل وانَّما هو فقط ايضاح لتقريب إدراكهِ واظهار عدم استحالتهِ

وتعالى جوهر واحد ذو ثلث صفات كلّ واحدةٍ منها غير الأُخريين في المعنى وانّ ذلك ليس بممتنع ولا مستحيل كما يظنّ البعض بايجادنا ذلك في الاشياء المشاهدة والله نسترشد وبه نستعين وهو حسبنا هادياً ومعيناً فنقول:

انّ من الاشياء المعاينة انّا اذا نصبنا مرآتين على تقابُل وجدنا في كل واحدة منهما صورة جميع ما يقابلها وكلّ واحدة منهما تقابل نظيرتها ففي كل واحدة منهما اذن صورة نظيرتها. ومن البيّن ايضاً للعيان انّا لسنا نجد في كل واحدة من المرآتين صورة الاخرى فقط دون جميع ما فيها من الصُّوَر بل نجد في كلّ واحدة منهما صورة ذاتها وهي بعض الصور التي قد (٢١) قبلتها فيجب ضرورةً ان تنعطف صورة كلّ واحدة منهما فتوجد في ذاتها

فاذا نحن تأملنا وجدنا لصورة ايّ المرآتين احدى ثلاث احوال كلّ واحدة منها غير الحالين الأُخريين: (احداها) الحال التي لها في وجودها عين وهي الصورة الموجودة في الحديد (١ وغيره من الاجسام الصقيلة القابلة لصورة ما يقابلها. ومن البيّن ان هذه الصورة بهذه الحال سبب وجود الصورة بالحالين الباقيتين

وذلك انّا لو توهّمنا ارتفاع هذه الصورة لما وُجدت الصورة التي في المرآة المقابلة لها. واذا لم توجد المقابلة لم تنعطف الصورة الى المرآة التي صدرت عنها فتوجد فيها. وليس بممتنع ان توجد الصورة التي في الحديد ولا تقابلها مرآة أُخرى ولذلك لا توجد صورة أُخرى غير التي في الحديد ولانها لا توجد في شيء مقابل لا تنعطف صورتها فتوجد فيها بالانعطاف وجوداً يخالف وجودها في الحديد. فقد ظهر انّ هذا الوجود سبب الوجودَين الآخرين اذ كان برفعه نتوهّم ارتفاعهما ومتى وُجدا وجب ضرورةً وجوده. وهذا الوجود مماثل لوجود الآب وهو علّة (٢ الابن والروح وهما معلولاه

واماً (الحال الاخرى) فهي وجود هذه الصورة بعينها في المرآة المقابلة لها وهي في ذلك مماثلة لوصف الروح منبعثاً خارجاً من الاب

١) يريد بالحديد المرآة المصقولة وكانت قديماً تصنع من الحديد المتّى اي الفولاذ المصقول قبل اكتشاف الطلاء الزئبقي

٢) العلّة هنا بمعنى المبدإ ليس بينها وبين معلولها ايّ اختلاف كان لا في الجوهر ولا في القِدَم ولا في الكمال

والحال (الثالثة) وهي الحاصلة بالانعطاف في المرآة التي عنها صدرت وهي مقابلة لصفة الابن اذ لهُ المماثلة للاب من جهتين احداهما في الصورة والاخرى وجودهُ في ذات الاب وغير خارج عنهُ

فقد تبيَّن ان هذه الصورة اذ هي صورة (22) واحدة غير متكثرة بهذه الثلث الصفات واختلفت صفاتها بها صارت ثلث موضوعات (١ معنى كلّ واحد منها غير معنى الآخرين. فانهُ ليس احد لهُ عقل ينكر انَّ الصورة التي شاهدها في الحديد لا خلاف بينها وبين الصورة المشاهدة في المرآة المقابلة لها وأنَّها هي والصورة المنعطفة عن المرآة المقابلة صورةٌ واحدة بعينها ولا يشك ايضاً في ان معنى كلّ واحدة من الاحوال الثلاث غير معنى الاخريين وذلك انَّ كونها موجودةً في الحديد غير معنى كونها منعطفة من المقابلة الى ذاتها. ومعنى كونها منبعثة الى المقابلة الصادرة عنها حتى حصلت فيها غير معنى الأخريين. فقد ظهر اذن انهُ قد وُجدت الصورة الواحدة بعينها في ثلاث أحوال تتكثر اذا اقترنت بها الصفات الثلاث فتكون الصورة في الحديد غير الصورة التي حصلت في المرآة المقابلة للمرآة التي هي صورتها وغير الصورة التي حصلت في المرآة التي هي صورتها لا بما هي صورة بل بما هي في الحديد وفي المرآة المقابلة ومنعطفةً الى المرآة التي هي صورة لها

فقد تبيَّن ووضح انها واحدة من حيث هي صورة وانَّها اذا اقترنت بها الاحوال وان شئتَ قُل الصفات صارت ثلاثة اشياء تتوحَّد من حيث هي صورة وتتكثر بصفاتها

وهذا التمثيل وان كان لأنَّهُ محسوس أوضحُ من التمثيل بالعقل والعاقل والمعقول واقرب الى الفهم فان التمثيل بالعقل والعاقل والمعقول (22) اشبه منهُ واولى فنحن لذلك نذكرهُ فنقول :

اذ كان كلُّ من يَعقل انَّما يَعقل بالعقل وكان العقل بعضَ الاشياء المعقولة فمن البيّن انَّ العقل نفسهُ انَّما يُعقَل بالعقل. ومن البيّن ان العقل ذات من الذوات الموجودة وان معنى

---

١) الموضوعات كالاقانيم توافق ما يدعوهُ اللّاهوتيون باللّاتينية suppositum وباليونانية ὑπόστασις

كونهِ عقلًا لا يتضمَّن معنى كونهِ عاقلًا او معقولًا وانَّ معنى كونهِ معقولًا غير معنى كونهِ عقلًا او غير معقول او عاقلًا. فظاهر لكل سليم العقل انهُ اذا كان هو الذي يعقل ذاتهُ من قِبَل انهُ يعقل ذاتهُ يحصل لهُ معنى العاقل. ومن قِبَل انهُ هو الذي تعقلهُ ذاتهُ يكون معقولًا لذاتهِ فقد حصل لهُ ثلاث صفات مختلفات اعني انهُ عقل وانهُ عاقل وانهُ معقول وهو ذات واحدة. وذلك انَّ الذي هو عقل هو بعينهِ الذي هو عاقل ومعقول. فمن حيث انَّ اسمهُ «العقل» انما تسمَّى بهِ ذاتهُ مجرَّدةً من غير ان يضاف اليها شيء اخر هو علَّة النعتين الآخرين اللذين يستحق ان توصف هذه الذات بواحدٍ واحدٍ منهما اذ اضافَ معناهُ الى الذات المجرَّدة. فتوصف من حيث هي مصوَّرة لذاتها انها عاقلة ومن حيث هي متصوَّرة بانهـا معقولة. فظاهر اذن انَّ معنى العقل مجرَّدًا هو علَّة النعتين الآخرين اعني معنى العاقل ومعنى المعقول اذ كان متى تُصُوِّر ارتفاعهُ ارتفع مع ارتفاعهِ المعنيان الآخران واذا وُجد واحد من المعنيين وجد معناهُ لا محالة فهو لذلك مماثل للاب اذ كان الاب علَّة الابن والروح. ولانَّ معنى العاقل موجود (٢٣) للعقل غير خارج عنهُ فلذلك ذاتهُ غير مباينـة لهُ وغير خارجة عنهُ وهو مماثل للابن اذ طبيعة الابن وطبيعة الاب واحدة. ومن قِبَل انهُ معقول هو مماثل للروح اذ الروح خارج عن الآب منبعث منهُ كما ان المعقول من حيث هو معقول هو خارج عن العاقل وارد اليهِ (١)

فقد تبيَّنت ووضحت مماثلة العقل والعاقل والمعقول للاب والابن والروح من حيث ان جوهر العقل هو ذات العـاقل وذات المعقول وهذه الذات الواحدة لا تتكثر من حيث هي ذات وانَّما توصف بثلاث صفات كل صفة منهـا غير الأُخريين فتكثر تلك الذاتُ بصفاتها الثلاث لا من حيث هي ذات وانَّ ذلك مماثل لما تعتقدهُ النصـارى في البارئ جلَّ وتعـالى من انهُ جوهر واحد غير متكثر بوجهٍ من الوجوه من حيث هو جوهر وانَّهُ ذو ثلاث صفات وإن شئت قل ثلاث خواص. واذا انضمَّ ذلك الجوهر اليها صار المجتمع منها مخالفًا من قِبَل صفتهِ او خاصَّتهِ لا من قِبَـل الجوهر. وهكذا تبيَّن ما ذكرناهُ بمعونة الله وحسن تأييده ولهُ الحمد دائمًا

(١) في قولهِ هذا ما يشير الى انبثاق الروح القدس من الابن كما ينبثق من الآب. والسريان اوَّل من صادقوا على هذه العقيدة في مجمع سلوقية والمدائن سنة ٤١٠ للمسيح فاقرُّوا جهارًا ان الروح القدس ينبثق من الاب والابن كمن مبدإٍ واحد

حلّ شكّ في ذلك

قال يحيى بن عدي: ان قال قائـل: هَبكم ساغ لكم ان تقولوا (٢٣) ان الاب علّة للابن والروح لان منزلتهُ عندهما منزلة ذات العقل مجرّدةً من معنى العاقل والمعقول وانّ الذات المجرّدة علّة لما قوامهُ منهـا ومن معنى آخر يضاف اليها فاذا ليت شعري حجّتكم في خصّكم الابن بتشبيهِ بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل مع اعترافكم بانهما معاً في الجوهر والطبيعة والقدرة والمجـد لا فضل لاحدهما على صاحبهِ في ذلك

(الجواب) انّ الذي شهد عندنا بانّ المماثل للابن هو العاقل دون المعقول هو ما ورد بهِ الانجيـل من انّ الابن هو المتأنس دون الاب والروح فوجب بذلك ان المماثل للابن انّما هو العاقل دون المعقول. وذلك ان الانسان يمكنهُ ان يصير عاقلاً للذات المجرّدة فيُشبَّه بذلك الابن الذي مثّلناهُ بالعاقل للذات المجرّدة وهذا معنى اتحاد الانسان بالاله الابن. واما المعقول فانهُ يمتنع في الانسان ان يصيرهُ لانهُ يمتنع ان يصير الذات المجرّدة ولذلك لا يمكنهُ ان يتّحد بها ولهذا السبب خصصنا الابن بتشبيهنـا اياهُ بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل تمّ القول

محادثة ثانية لغويّة

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني عزّر البشير ومدرّس الخطابة في كلّيّة القديس يوسف

قصدني هذه المرة شاب آخر غير الذي رويتُ حديثهُ لقرّاء المشرق في العدد السابق فقال: انما جئتك مستفيداً لا متعنّتاً فقد طالعتُ خبر المحادثة التي دارت بينـك وبين ذاك المكابر وعرفت مقدار ما نالك من المضّ بسبب إصراره فاتيتـك مستفهماً عن بعض الكلم وواعداً باني اسلّم بالحقيقة حالما تتبيّن لي

(قلتُ) اسأل عمّا بدا لك والحمد لله على انهُ يسّر لي هذه المرّة اديباً مثلك

(قال) هل للكاتب ان يقول «جرحٌ بليغ وطعنٌ بليغ» فان حضرة الشيخ